(الإجابة الفاصلة في الأشعرية عند الحنابلة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذا جواب مُخْتَصر ، على استفتاء مُحَرَّر ، حاصله : طلب بيان مذهب السادة الحنابلة في دخول الطائفة الأشعرية في (أهل السنة والجماعة) الموعودة بالنجاة في حديث : " ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلهم في النار إلا فرقة واحدة وهي ما كان على ما أنا عليه وأصحابي " . وهذا أوان البيان ، والله المستعان .

تُنْسَب الطائفة الأشعرية إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل من سُلالة سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، والمتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة – كما في : " طبقات الشافعية " (360/3) للتاج السبكي-، وقد كان معتزلياً يدافع عن عقائد المعتزلة ثم ترك ذلك ونصر مذهب أهل السنة ، قال ابن خَلِّكَان رحمه الله تعالى في : " وفيات الأعيان " (284/3) : " كان أبو الحسن أولاً معتزلياً ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة " أ.هـــ. وقال أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى – كما في : " تبيين كذب المفتري " (ص/127)- : " انتقل الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه من مذاهب المعتزلة إلى نصرة مذاهب أهل السنة والجماعة بالحجج العقلية ، وصنف في ذلك الكتب " أ. هـــ المراد . ويقول ابن خلدون رحمه الله تعالى في : " المقدمة " (ص/853) : "... إلى أن ظهر الشيخ أبو الحسن الأشعري ، وناظر بعض مشيخة المعتزلة في مسائل الصلاح والأصلح ، فرفض طريقتهم ، وكان على رأي عبد الله بن سعيد بن كلّاب وأبي العباس القلانسي والحارث المحاسبي من أتباع السلف وعلى طريقة السنة " أ. هـــ .

وطريقته ظاهرة في كتبه التي رَدَّ فيها على المعتزلة وغيرهم ، خصوصاً كتاب : " اللُّمع في الرد على أهل الزيغ والبدع " ، والذي عدَّه جماعةٌ آخر كتبه . وبه سارت الأشعرية وكَثُر من أهل العلوم أتباعه ، حتى قال البغدادي رحمه الله تعالى في : " أصول الدين " (ص/309) : " وقد ملأت الدنيا كتب أبي الحسن الأشعري ، وما رُزق أحد من المتكلمين من التَّبَع ما قد رُزق " أ هـــ المراد . وقال عبد الله الحداد رحمه الله تعالى في : " نيل المرام" (ص/8) : " اعلم أن مذهب الأشاعرة في الاعتقاد هو ما كان عليه جماهير أمة الإسلام وعلماؤها ودهماؤها ، إذ المنتسبون إليهم والسالكون طريقهم كانوا أئمة أهل العلوم قاطبة على مرِّ الأيام والسنين ، وهم أئمة علم التوحيد والكلام والتفسير والقراءة والفقه وأصوله والحديث وفنونه والتصوف واللغة والتاريخ " أ.هـــ.

عليه : فقد قرَّرَ السادة الحنابلة أن الطائفة الأشعرية – وكذا الماتريدية – ضمن طوائف أهل السنة والجماعة الموعودة بالنجاة ، يقول العلامة البدر عبد الباقي المواهبي الحنبلي (ت/ 1071)[1] رحمه الله تعالى في : " العين والأثر في عقائد أهل الأثر " (ص/53) : " طوائف أهل السنة ثلاثة : أشاعرة ، وحنابلة ، وماتريدية ، بدليل عطف العلماء الحنابلة على الأشاعرة في كثير في كثير من الكتب الكلامية ، -أي : العقائدية- ، وجميع كتب الحنابلة " أ. هـــ .

---

(1) له ترجمة في : " النَّعْت الأَكْمل " (ص/223) ، و " السُّحُب الوابلة " (439/2) وغيرها . أخذ المذهب على الشيخ منصور البهوتي ، والشيخ مرعي الكرمي ، والشيخ عبد القادر الدَّنَوْشري رحمهم الله تعالى .

- فمن كتب العقائد عند الحنابلة كتاب : " لوامع الأنوار " للشمس محمد السَّفَّاريني (ت/ 1189هـ) [1] رحمه الله تعالى ، حيث قال فيه (73/1) : " أهل السنة والجماعة ثلاث فرق : " الأثرية ، وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه . والأشعرية ، وإمامهم أبو الحسن الأشعري . والماتريدية ، وإمامهم أبو منصور الماتريدي " أ.هـ . وأقره مختصروه كابن الشطي رحمه الله تعالى – كما في : " تبصير القانع " (ص/73)- وابن سلوم رحمه الله تعالى – كما في : " شرح الدُّرَّة المُضِيَّة " (ص/58) – .

- وفي كتب الفروع لا يذكرونهم في أهل البدع عند عدهم ، كما في (كتاب الشهادات) [2] ، بل ربما أوردوا بعض أقوال الأشاعرة ومنظوماتهم ، كقول صاحب([3]) : " حاشية هداية الراغب " (21/1) : " وهو – أي : الوجه – من المتشابه الذي اختلف فيه السلف والخلف ، كما قال البرهان اللقاني:

وكل نص أوهم التشبيها   أوله أو فوض ورم تنزيها " أ.هـ

ومراده بمذهب السلف في الصفات السمعية : التفويض ، خلافاً لمذهب الخلف: فالتأويل ، وبالثاني قال الأشاعرة يقول النجم الطوفي (ت/711هـ) ([4]) رحمه الله تعالى في عد الأقوال في ذلك – كما في : " الإشارات الإلهية " (196/3) " اختلف الناس في آيات الصفات ... على أقوال:

-أحدها : امرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل . وهو مذهب أهل الحديث .

-والثاني : حملها على ظاهرها في التشبيه ، وصرحوا به . وهو قول الكرامية ، ورد عليهم " ليس كمثله شيء " وباستحالة التجسيم على القديم .

- الثالث : حملها على صفات الله حقيقة مقولة على صفات المخلوقين بالاشتراك اللفظي ..

- الرابع : تأويل ما أوهم منها التشبيه على ما يزيل تلك الشناعة مما يحتمله اللفظ في كلام العرب . وهو مذهب الأشعرية ومن وافقهم .. أ. هـ المراد .

ومع ما سبق من تقرير عن السادة الحنابلة إلا أنهم يخالفون الأشاعرة في مسائل ، لكن ذلك لا يوجب تفسيقاً ولا تبديعاً ، يقول العلامة ابن صوفان الحنبلي (ت/1331هـ) رحمه الله تعالى في : " المنهج الأحمد " (ص/   ) : " أهل الحديث والأشعرية والماتريدية فرقة واحدة ، متفقون في أصول الدين على التوحيد ، وتقدير الخير والشر ، وفي شروط النبوة والرسالة ، وفي موالاة الصحابة كلهم ، وما جرى مجرى ذلك كعدم وجوب الصلاح والأصلح ، وفي

---

(2) ترجمه في : " النعت الأكمل " (ص/301) ، و " السحب الوابلة " (839/2) وغيرها . أخذ المذهب على الشيخ عبد القادر التَّغْلبي ، والشيخ مصطفى اللَّبدي ، والشيخ مصطفى الكَرْمي ، والشيخ عبد الرحيم الكرمي ، والسيد هاشم رحمهم الله تعالى .

(3) انظر مثلاً : " شرح منتهي الإدارات " (663/6- التركي) . وقال العلاء المرداوي (ت :885) رحمه الله تعالى في : " التحبير شرح التحرير " " وأما غيرهم من أرباب البدع كالجهمية والرافضة والخوارج والمعتزلة ونحوهم ، فلا اعتبار بقولهم المخالف لأقوال الأئمة ... " أ. هـ .

(1) هو : ابن عوض (أحمد بن محمد المرداوي ثم النابلسي) (ت/1105هـ) له ترجمة في : " السحب الوابلة " (239/1) . أخذ المذهب على الشيخ محمد الخلوتي ، والشيخ ابن قائد النجدي رحمهما الله تعالى .

(2) له ترجمة في : " ذيل الطبقات " (404/4) . أخذ المذهب على تقي الدين الزريراتي ، وزين الدين ابن البوقي رحمهما الله تعالى .

إثبات الكسب ، وإثبات الشفاعة وخروج عصاة الموحدين من النار ، والخلف بينهم في مسائل قليل كتأويل آيات الصفات وأحاديثها ، هل هو جائز أو ممتنع .

ومن قال بجوازه من الخلف فإنه يرى الفضل لمذهب أهل التفويض مع التنزيه لسلامته ، وكذلك الخلف في صفات الأفعال ونحوها نزر يسير لا يوجب تكفير بعضهم لبعض ولا تضليله . وهذا الذي ذكرناه ظاهر ولله الحمد والمنة لا غبار عليه " أ. هـ المراد وعلق العلامة اللبدي رحمه الله تعالى بقوله : " هذا البحث جدير بالتنويه ، وما أجاب به سديد وجيه يجب المصير إليه ، وخلافه لا يعول عليه " أ.هـ المراد . وقال الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان الحنبلي (ت/ هـ) رحمه الله تعالى – كما في: " تعليق له على شرح السفاريني – تبصير القانع (ص75) : " الأشاعرة والماتريدية لم يردوا الأحاديث ولا أهملوها ، فإما فوضوها وإما أولوها ، وكل منهم أهل حديث ، وحينئذ فالثلاث فرقة واحدة ، ولا قتفائهم الأخبار وانتحالهم الآثار، بخلاف باقي الفرق فإنهم حكموا العقول ، وخالفوا المنقول فهم أهل بدعة وضلالة ، ومخالفة وجهالة " أ. هـ .

ومن ثم وقع نسبة بعض الحنابلة الكبار إلى طائفة الأشعرية ، ومنهم أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكوذاني (ت/510هـ) رحمه الله تعالى ، فقد ذكر الحافظ ابن عساكر الأشعري (ت/ 571) رحمه الله تعالي في : " تبين كذب المفتري " (ص/390) : أن أبا الخطاب نسب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ، وأن تلميذه أحمد بن معالي بن بركة الحربي (ت/554هـ) صحح هذه النسبة وأقر بها . أ.هـ .

وكذا كان بعض الحنابلة يوصي بأشاعرة كبار ، ومن ذلك وصية أبي الفضل التميمي (ت/ هـ) رحمه الله تعالى بأبي بكر الباقلاني الأشعري رحمه الله تعالى ، يقول الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى في : " تبيين كذل المفترى " (ص/221) : " وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه : تمسكوا بهذا الرجل – يعني : أبا بكر الباقلاني – فليس للسنة عنه غنى " أ.هـ المراد .

ونختم بالتنبيه إلى أن هناك من شذ عن المعروف عند السادة الحنابلة، وتغالي بعضهم إلى المقاتلة ، ومنه ما حكاه الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في : " سير النبلاء " (459/17) بقوله : " وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة ، وقيل وقال ، وصراع طويل ! فقام إليه – أي : يعني : الحافظ أبا نعيم – أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام وكاد الرجل يقتل .

قلت : ما هؤلاء بأصحاب الحديث ! بل فجرة جهلة ! أبعد الله شرهم " أ.هـ.

هذا والله أعلم

تمت بحمد لله

كتبه

خادم الشريعة

الواثق بربه . والمقر بذنبه

صالح بن محمد بن حسن الأسمري

(محرم / 1431هـ)